تسبيح الرسل عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم([1])

[1] حمزة بن عبد الله سعادة شواهنة، محاضر جامعي وباحث في الدراسات القرآنية – فلسطين.

ملخص

هذا البحث بعنوان **(تسبيح الرسل عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم)**، وقد هدفتُ إلى تسليط الضوء على معالِم التسبيح عند الرسل عليهم السلام مِن خلال آيات القرآن الكريم، ولتحقيق هذا الهدف سلكتُ المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، بحيث أَعرض الآيات القرآنية التي تناولت موضوع تسبيح الرسل عليهم السلام لله Y، ثُمّ استنبط أبرز الجوانب التربوية مِن منهجهم عليهم السلام في أداء هذه العبادة، وقد خلُص البحث في نتائجه إلى المكانة السامية لمنزلة التسبيح في القرآن الكريم، وأنّ الرسل عليهم السلام هم سادات الذاكرين والمسبِّحين، حيث قاموا عليهم السلام بتسبيح الله Y بألسنتهم وقلوبهم وأعمالهم، كما شَمل تسبيحهم الأوقات والأحوال جميعها، وعليه ينبغي على العبد التخلُّق بأخلاق الرسل عليهم السلام في الإكثار مِن تسبيح الله Y، وأوصت الدراسة بالعودة إلى المفهوم الأصيل للذِّكر عموماً وللتسبيح خصوصاً؛ وذلك من خلال الجمع بين قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التفسير، التسبيح، الرسل.

Abstract

This research is titled Praise the Apostles peace be upon them in the light of the Holy Quran، The aim of the research was to shed light on the signs of praise of the apostles، peace be upon them، through the verses of the Holy Quran، To achieve this goal، the researcher studied the inductive and deductive methods، So that he presents the Koranic verses that dealt with the subject of praise of the Apostles peace be upon them، And then devising the most important educational aspects of their approach to peace in the performance of this worship، The results of the research reached the high status of the praise in the Holy Quran، And that the apostles peace be upon them are the masters of the wise and the sworn، Where they praise God with their tongues، hearts and actions،Their praise also included all times and conditions،Therefore، the slave should create the ethics of the apostles peace be upon them to increase the praise of God، The study recommended a return to the original concept of the male in general and to praise in particular، By combining the words of the tongue and the belief of the heart and the work of companions.

Key words: The Holy Qur'an ، interpretation، Praise be to God، The prophets.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّ الله Y شَرع لعباده عبادات عظيمة، ومِن أجلّ العبادات التي أكّد عليها القرآن الكريم في كثير مِن آياته عبادة الذِّكر، والعُمدة في الأذكار تسبيح الله Y، ولمّا كان الجمّ الغفير مِن المسلمين يدركون مكانة التسبيح، لكنّهم يغفلون عن مدلوله الصحيح، جاء هذا البحث بعنوان **(تسبيح الرسل عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم)**؛ لِيتناول منهج أكثر الناس لزوماً للتسبيح وهم الرسل عليهم السلام، وصولاً إلى محاولة استنباط أبرز الجوانب التربوية مِن أدائهم لتسبيح الله Y، وذلك مِن خلال آيات القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميّتها مِن الاعتبارات الآتية:

1- أهمية الموضوع نفسه الذي تبحث فيه الدراسة، وهو مقام الذِّكر عموماً والتسبيح خصوصاً.

2- إنّ هذه الدراسة تتعلّق بصفوة الخَلق وهم الرسل عليهم السلام.

3- إنّ هذه الدراسة تعالج موضوعاً عقديّاً؛ وذلك لأنّ مسألة تنزيه الله Y الذي هو معنى التسبيح يُعدُّ مِن مسائل الاعتقاد.

4- إحياء معاني التسبيح التي ضعُفت في نفوس المسلمين في الزمن المعاصر.

5- إنّ هذه الدراسة تعالج عبادة عظيمة، يتكرّر وقوعها مِن المسلم كلّ حين.

مشكلة البحث:

هذا وتتمثّل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما هو هدي الرسل عليهم السلام في التسبيح في ضوء القرآن الكريم؟

وتتفرّع عن هذه المشكلة ثلاثة أسئلة أساسيّة:

1-ما المقصود بالتسبيح لغةً واصطلاحاً؟

2-ما الآيات التي تضمّنت أخبار الرسل عليهم السلام الذين تلفَّظوا بتسبيح الله Y؟

3-ما القيم التربوية المستنبَطة مِن أداء الرسل عليهم السلام لتسبيح الله Y؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

1- التعرف على هدي الأنبياء عليهم السلام في التسبيح.

2- بيان مفهوم التسبيح وفضله وإطلاقاته في القرآن الكريم.

3- استجلاء القيم التربوية للتسبيح التي تسهم بدورها في رسم أبرز ملامح الشخصية المسلِمة الذاكرة.

4- دعوة الغافلين إلى الذِّكر؛ وذلك بذكر أفضل النماذج البشرية التي حقّقت ذِكر الله I وتسبيحه.

5- انضباط عبادة التسبيح بضوابط الكتاب والسنّة.

الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها:

مِن الدراسات السابقة المتعلِّقة بتسبيح الرسل عليهم السلام في القرآن الكريم، رسالة علمية موسومة ب **(التسبيح في الكتاب والسنة والردّ على المفاهيم الخاطئة فيه)**، للدكتور كندو([2]).

حيث تعرّضت الدراسة السابقة لمعاني التسبيح في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، وبيان أنواعه، وذِكر نظائره، وتوضيح حُكمه، واستقراء سياقاته، وبعد البحث في الدراسات السابقة لمْ أعثر على أيّ دراسة قرآنية منشورة درست

[2] د. كندو، محمد بن إسحاق، **التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه**، (دار المنهاج، الرياض، 1426، ط1).

هذا الموضوع بشكل مستقلّ سوى هذه الدراسة –فيما اطلعتُ عليه–، على الرغم مِن تناولها موضوع التسبيح بعمومه في القرآن الكريم والسنّة الشريفة، إضافة إلى الحديث عن الآيات التي تُذكر فيها ألفاظ التسبيح بتوسُّع، دون الحديث عن تسبيح الرسل عليهم السلام جميعاً على وجه الخصوص كما فعلتُ هنا.

لذا يتبيّن ندرة الدراسات القرآنية المحكّمة التي درست هذا الموضوع، وحاولت بيان منهج الرسل عليهم السلام في التسبيح في ضوء آيات الكتاب العزيز فحسب.

ما يضيفه البحث:

ما ندّعيه لهذه الدراسة مِن فروقات عن غيرها وما تضِيفه علمياً هو:

1– إنّ هذه الدراسة دراسة قرآنية موضوعية، اتّبعتُ فيها منهج البحث العلمي وفق طريقة التفسير الموضوعي.

2– إبراز هذه الدراسة هدي الرسل عليهم السلام خصوصاً في التسبيح كما عرضتْه آيات القرآن الكريم فحسب.

حدود البحث:

سيعتمد هذا البحث على آيات القرآن الكريم فحسب، إذ هو المصدر الأوّل للتربية الإسلامية، ولكنّي سأعرّج على كتب التفسير بالمأثور، لذا ستقتصر الدراسة في حدّها الموضوعي على دراسة الآيات التي تضمّنت بنصّها مادّة (سبح) ضمن الحديث عن مقام التسبيح في حياة الرسل عليهم السلام.

منهج البحث:

طبيعة البحث وأهدافه تتطلّب استخدام المنهجَين الاستقرائي والاستنباطي، بحيث أستقرئ الآيات الكريمة التي تضمّنت تسبيح المرسلين عليهم السلام، ثُم أستنتج الفوائد والمعاني التربوية المستنبَطة مِن تلك الآيات.

خطة البحث:

قسّمتُ البحث إلى مقدّمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، كما يأتي:

المقدمة: وتضمّنتْ أهميّة الموضوع، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجيّة البحث.

المطلب الأول: مفهوم تسبيح الرسل عليهم السلام ونظائره في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: نماذج من تسبيح الرسل عليهم السلام لله I في ضوء القرآن الكريم ومعانيها.

المطلب الثالث: فضل التسبيح والقيم التربوية المستنبطة مِن تسبيح الرسل عليهم السلام في القرآن الكريم.

الخاتمة: تشتمل على أهمّ النتائج والتوصيات.

المطلب الأول:

مفهوم تسبيح الرسل عليهم السلام ونظائره في القرآن الكريم

سأبيّن في هذا المطلب المقصود بالتسبيح، مِن خلال تأصيل المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، ثُمّ سأعرِّج على ذِكر نظائره في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: مفهوم تسبيح الرسل عليهم السلام

أولاً: معنى التسبيح:

التسبيح لغة: مصدر سبّح، وعرّفه الأزهري بأنه: تنزيه الله I مِن السوء، وتبعيدُه منه، مِن قولك: سبحتُ في الأرض إذا أبعدتَ فيها، ومنه قوله Y: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}[يس: 40]،([3]) ويأتي التسبيح بمعنى الذِّكر والصلاة، ويكون بمعنى التحميد نحو {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا}[الزخرف : 13]، ويكون بمعنى التعجّب والتعظيم لِمَا اشتمل الكلام عليه نحو {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا}[الإسراء : 1]، وقيل في قوله Y: {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ}[القلم : 28] أي: لولا تستثنون.([4])

---

[3] انظر، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 370): **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 - 2001م)، (سَبَحَ)، (4/ 195).

[4] انظر، ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت: 711): **لسان العرب**، (دار صادر، بيروت، ط1)، (سَبَحَ)، (2/ 470 - 475). والأزهري، **تهذيب اللغة**، (4/ 195).

أمّا التسبيح في اصطلاح المفسِّرين وكتب العقائد، فقد عُرِّف بتعاريف عديدة؛ وأجمع تعريف له –في نظري– أنّه: تنزيه الله Y اعتقاداً وقولاً وعملاً عمّا لا يليق بجنابه.([5])

ومِن خلال النظر في التعريف السابق، يتّضح أنّ التسبيح ليس مُجرّد قول (سبحان الله) فحسب؛ بل يشمل تنزيه الله I باللّسان والقلب والجوارح على حدّ سواء.

وهكذا يتّضح بأنّ التسبيح في أصله اللغوي دائماً يدلّ على معانٍ لا تُصرف إلّا لله وحده؛ لأنّ المبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله Y، لذا فإنّ كلمة (سبحان الله) تتضمّن أصلاً عظيماً مِن أصول التوحيد، وهو إبعاد القلوب والأفكار عن أن تَظنّ بالله Y نقصاً.

وقد ورد التسبيح بمعنى تنزيه الله Y عن كلّ سوء في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وآثار السلف الصالح، مِن شواهد ذلك في الكتاب العزيز قوله I: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُون}[المؤمنون: 91].

ولمّا دَلّ التسبيح على تنزيه الله I عن النقائص، استَلزم اتّصافَه بالكمال المطلَق، فكان التسبيح دالّاً على التعظيم لله I، ويُقرّر هذا المعنى شيخُ الإسلام فيقول: "والأمر بتسبيحه يقتضي أيضاً تنزيهَه عن كلّ عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له؛ فإنّ التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيمُ يستلزم إثبات المحامد التي يُحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهَه، وتحميدَه، وتكبيرَه، وتوحيدَه".([6])

ثانياً: معنى الرسل والأنبياء:

اتّفق جمهور أهل السنّة والجماعة ومَن وافقهم على أنّ النبيّ غير الرسول، ويدلّ على ما ذهبوا إليه ما ورد في الكتاب العزيز مِن عطف النبيّ على الرسول، كما في قوله I: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ إِلاّ إِذَا تَمَنّىَ أَلْقَى الشّيْطَانُ فِيَ أُمْنِيّتِهِ}[الحج: 52]، والعطف يقتضي المغايرة كما هو معلوم، ولمْ يبقَ أمام طالب الحقّ إلّا أن

---

[5] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: 982هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، (8/ 203). وانظر، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421 هـ): **شرح العقيدة الواسطية**، تخريج: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط6، 1421 هـ، ج 2 / ص140.

[6] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المملكة العربية السعودية، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - 1416هـ/1995م)، (16/ 125).

يقول بالتفريق بين النبيّ والرسول، وتلمُّساً لهذا الفرق، فقد اختلف أهل العِلم في تحديد تعريف كلّ منهما على عدّة أقوال.([7])

وذهب آخَرون إلى أنَّه لا فرق بين الرسول والنبيّ.([8])

ويظهر أنّ القول الأخير فيه نظر، وعليه يترجّح في التفريق بينهما، أنّ النبيّ هو: مَن بُعث لقوم موافقين، وأمّا الرسول فيعني: مَن بُعث لقوم مخالِفين، وإلى نحو هذا القول ذهب ابن تيمية، حيث يقول: إنّ "النبيّ هو: الذي يُنبئه الله، وهو يُنبِىء بما أنبأ اللهُ به؛ فإنْ أُرسل مع ذلك إلى مَن خالف أمْر الله؛ لِيبلِّغه رسالةً مِن الله إليه؛ فهو رسول، وأمّا إذا كان إنما يَعمل بالشريعة قبله، ولمْ يُرسَل هو إلى أَحَد يبلِّغه عن الله رسالة؛ فهو نبيّ، وليس برسول، قال تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ إِلاّ إِذَا تَمَنّىَ أَلْقَى الشّيْطَانُ فِيَ أُمْنِيّتِهِ}[الحج: 52]، وقولُه: {مِن رّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ}؛ فذكَر إرسالاً يَعُمّ النوعين، وقد خَصّ أحدَهما بأنّه رسول؛ فإنّ هذا هو الرسول المطلَق الذي أمَره بتبليغ رسالته إلى مَن خالَف الله؛ كنوح".([9])

ثالثاً: المقصود بتسبيح الرسل عليهم السلام لله I:

والمقصود بتسبيح الرسل عليهم السلام لله Y في هذا البحث، هو دراسة الآيات القرآنية التي وردت في سياق تنزيه الرسل عليهم السلام لله I عن النقائص، وتضمّنت أحد مشتقّات لفظة التسبيح.

الفرع الثاني: نظائر التسبيح في القرآن الكريم:

مِن خلال تتبّعي للألفاظ التي وردت في كتاب الله الكريم، وحَملت في طيّاتها معنى التسبيح، تبيّن أنها أكثر مِن لفظ، وهي:

---

[7] وليس المقام ها هنا مقام تفصيل، ولمزيد بيان في التفريق بين النبيّ والرسول. انظر، الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي: **الرسل والرسالات**، (دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط6، 1410هـ /1989م، (ص: 14 – 15).

[8] والمقصود هنا معظم المعتزلة ومَن شايعهم في قولهم: أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبيّ. انظر، القاضي عبد الجبار، أحمد بن خليل بن عبد الله الهمذاني (ت: 415هـ): **شرح الأصول الخمسة**، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1965م، ص 567.

[9] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): **النبوّات**، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1420هـ / 2000م)، 2/ 714.

أولاً: السلام: ومن أسماء الله الحسنى التي تدلّ على معنى التسبيح والتنزيه اسم (السلام)، كما في قوله I: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ}[الحشر: 23]، قال ابن القيّم معلّقاً: الله أحقُّ بهذا الاسم مِن كلّ مسمًّى به؛ لسلامته سبحانه مِن كلّ عيب ونقص مِن كلّ وجه.([10])

ثانياً: التقديس: ورد اسم الله (القدّوس) بمعنى تسبيح الله I وتنزيهه، كما في قوله I: {يسبّح لله ما في السماوات وما في الأرض الملِك القدّوس العزيز الحكيم}[الجمعة: 1]، و{القدّوس} "أي: المنزَّه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال".([11])

ثالثاً: تعالى: ورد الفعل (تعالى) مسنَداً إلى الله I بمعنى التسبيح في قوله I: {فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون}[الأعراف: 190]، قال أبو جعفر: "وأمّا قوله: (فتعالى الله عما يشركون)، فتنزيهٌ مِن الله تبارك وتعالى نفْسه، وتعظيمٌ لها عمّا يقول فيه المبطلون، ويدعون معه مِن الآلهة والأوثان".([12])

رابعاً: حاش لله: ورد لفظ (حاش لله) بمعنى التسبيح في قوله I: {قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ}[يوسف:51]، قال ابن عاشور في معنى حاش لله: "وحاش لله: مبالغة في النفي والتنزيه".([13])

ويوضّح صاحب الكشّاف دلالة (حَاشَ) على التنزيه لله I فيقول:(حَاشَ): كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، تقول: أساء القومُ حاشا زيد، وهي حرف مِن حروف الجرّ، فوُضعتْ موضع التنزيه والبراءة، فمعنى حاشا الله: براءة الله I، وتنزيه الله I، ثُمّ قال: {لِلَّهِ}؛ لبيان مَن يُبرَّأ ويُنزَّه.([14])

خامساً: الحمد: وردت لفظة (الحمد) بمعنى التسبيح في القرآن الكريم عند عدم الاقتران بينهما، كما في قوله I: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40)}[ق: 39 –40].

---

[10] انظر، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): **الفوائد**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2 1393 هـ - 1973م)، (2/ 135).

11 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 – 1420هـ - 1999م)، (8/ 115).

[12] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخريج: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1 – 1420هـ - 2000م)، (13/ 317).

[13] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: 1393هـ): **التحرير والتنوير**، (تونس، الدار التونسية للنشر، 1984هـ)، (12/ 290).

[14] انظر، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: 538): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**، تخريج: الإمام الزيلعي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، (2/ 465).

وقُرن التسبيح بالحمد كثيراً في القرآن الكريم؛ لأنّ "التسبيح يتضمَّن نفي النقائص والعيوب، والتحميد يتضمَّن إثبات صفات الكمال التي يُحمَد عليها".([15])

سادساً: التأويب: وردت لفظة (التأويب) بمعنى التسبيح، كما في قوله I: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ}[سبأ: 10]، يقول الطبري: "(أوّبي معه): سبِّحي معه إذا سبَّح".([16])

المطلب الثاني:

نماذج من تسبيح الرسل عليهم السلام لله I في ضوء القرآن الكريم ومعانيها

سأستقرئ في هذا المطلب نماذج مِن تسبيح المرسلين عليهم السلام لله I، ثُمّ سأعرِّج على ذِكر معاني التسبيح في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: نماذج من تسبيح الرسل عليهم السلام لله I في ضوء القرآن الكريم

الرسل عليهم السلام سادات الذاكرين، فهم أعظم مَن سبّح الله Y ونزّهه من عباده عن كلّ ما لا يليق به؛ وذلك لأنهم وصفوه بما أوحاه الله Y إليهم.

وقد قصّ القرآن الكريم علينا طرَفاً مِن تسبيح أنبيائه عليهم السلام، لذا سأستعرض الرسل عليهم السلام الذين نصّ القرآن الكريم على أنّهم كانوا مِن المسبِّحين، سواء ورد ذلك بالأمر الإلهي لهم به، أو ورد بأمرهم لأقوامهم به، أو بإخباره Y عن لَهَجهم بالتسبيح، أو بذكْره Y لتسبيح الرسل عليهم السلام لذاته العليّة، أو بيانه لبعض فضائله وثمراته، ذاكراً الآيات الكريمة وفق تصنيف يناسبها، ثُمّ معقّباً عليها بتعقيب مناسب، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تسبيح عيسى υ لربه Y: حكى القرآن الكريم تسبيح عيسى υ، وذلك في مَعرِض براءته مِن شرك النصارى ومقولاتهم الكفريّة، فقال I: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}[المائدة: 116].

---

[15] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): **جامع المسائل**، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (مكة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - 1422هـ، ط1)، (ص: 278).

[16] الطبري: **جامع البيان**، (14/ 50).

وبدأ المسيح υ بالتسبيح ها هنا قبل الجواب لأمرين، أحدهما: تنزيهاً له عمّا أُضيف إليه. والثاني: خضوعاً لعزّته، وخوفاً مِن سطوته.([17])

ويُلمَح مِن تنزيه المسيح υ لربّه Y يوم القيامة في الآيتَين الآنفتَين، عِظم شأن التسبيح في العقيدة؛ إذ هو مِن أصول الاعتقاد؛ لأنّ حقيقة التسبيح تنزيهُ الله Y عن صفات النقص، وهذا واجب كما لا يخفى، وبالتّالي ينبغي أن يواطئ القلبُ لِلفظ التسبيح، وأن يَستحضر معناه.

والمتأمِّل في جواب المسيح υ لربّه Y فيما سبق، يَلحظ حُسن أدبه في الخطاب، ويوضّح ابن القيّم هذا الأدب منه مع الله Y في هذا المقام فيقول: "وتأمَّل أحوال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مع الله، وخطابهم وسؤالهم. كيف تجدها كلّها مشحونة بالأدب قائمة به؟ قال المسيح υ: {إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ}[المائدة: 116]، ولمْ يقل: لمْ أَقُله. وفرق بين الجوابَين في حقيقة الأدب. ثُمّ أحال الأمر على عِلمه سبحانه بالحال وسرّه. فقال: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي}[المائدة: 116]، ثُمّ برّأ نفْسه عن عِلمه بغيب ربّه وما يَختَصّ به سبحانه، فقال: {وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}[المائدة: 116]، ثُمّ أثنى على ربّه، ووصَفه بتفرّده بعِلم الغيوب كلّها. فقال: {إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}[المائدة: 116]."([18])

ثانياً: تسبيح داود υ لربّه Y: ونموذج آخَر مِن نماذج الرسل المسبِّحين، قصّه الله I علينا في كتابه الكريم وهو تسبيح نبيّه داود υ، حيث أخبر Y عن تأويب الطير وتسبيح الجبال معه υ، وذلك في مشهدَين في القرآن الكريم، وهما:

الأول: قوله I في معرِض تعداد ما أنعم به Y على داود υ، فقال I: {وسخّرنا مع داود الجبال يسبِّحن والطيرَ وكنّا فاعلين}[الأنبياء: 79].

وكانت الطير والجبال تسبِّح مع داود υ؛ وذلك لطِيب صوته بتلاوة كتاب الله Y (الزبور)، وكان إذا تَرنّم به تقِف الطير في الهواء، فتجاوبه، وتَرُدّ عليه الجبال تأويباً.([19])

وقُدِّمت الجبال على الطير ها هنا؛ لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجبُ وأغربُ وأدخلُ في الإعجاز؛ لأنها جماد.([20])

---

[17] انظر، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2 – 1384هـ - 1964م)، (6/ 375).

[18] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1416هـ - 1996م)، (2/ 358).

[19] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (5/ 358).

ويشير الإمام النسفي إلى عظمة الخالق مِن خلال هذا التعبير القرآني الفريد، فيقول: "وفي هذا النَّظم مِن الفخامة ما لا يخفى؛ حيث جُعلت الجبالُ بمنزلة العقلاء الذين إذا أمَرهم بالطاعة أطاعوا، وإذا دعاهم أجابوا؛ إشعارٌ بأنه ما مِن حيوان إلّا وهو منقاد لمشيئة الله".([21])

والثاني: قوله I عن ترداد الجبال والطير التسبيح مع داود υ في أوّل النهار وآخِره، فقال I: }وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20)}[ص: 17 – 20].

وفي الموضعَين السابقَين إشارة إلى تسبيح الجمادات والكائنات كلّها بحمد ربّها، حيث أُسند التسبيح فيها إلى الطير والجبال، كما أُسند إلى السماوات السبع والأرض والرعد في مواضع أُخر مِن الكتاب العزيز، ويؤكّد هذا عمومُ قوله Y: {وإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}[الإسراء: 44]، ولا ريب أنّ في تسبيح الكائنات بحمد خالقها Y ما عدا كفرة الإنس والجنّ، إرشاد للعبد إلى الإكثار مِن ذكر الله Y والتسبيح بحمده؛ لئلّا تكون تلك المخلوقات التي فضَّله الله Y عليها أكثر منه ذِكراً، وأفضل منه تسبيحاً، فحرِيّ بالمؤمن أن يُكثر مِن تسبيح الله Y في كلّ أوقاته، ولا يكوننّ مِن الغافلين.

وبالتّالي فإنه لا يُستبعد أنّ تسبيح الجبال يكون بلسان المقال وبلسان الحال في الوقت نفْسه؛ إذ لو كان المراد تسبيحها بلسان الحال؛ لكان ذلك معلوماً، لذلك فإنّ تسبيح الجبال حقيقي على كيفية لا يعرِفها البشر، ويدلّ عليه قول الله Y: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}[الإسراء:44].([22])

ثالثاً: تسبيح يونس υ لربّه Y: يعرِض القرآن الكريم نموذجاً آخَر لأحد سادات المسبِّحين، وهو نبيّ الله يونس υ، وذلك في موضعين في القرآن الكريم، وهما:

الأول: قوله I: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}[الأنبياء: 87].

وفي الآية الآنفة جَمع I بين التسبيح والتهليل، فقوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ} تهليل، وقولـه: {سُبْحَانَكَ} تسبيح، وقد ورد التسبيح مقترناً بالتهليل في مواضع أخرى في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، والحكمة مِن ورود صيغة التسبيح مقرونة

---

[20] انظر، النَّسَفِيّ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: 710هـ)**: مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت، دار الكلم الطيب، ط1 - 1419هـ - 1998م)، (2/ 415).

[21] النَّسَفِيّ: **مدارك التنزيل**، (3/ 55).

[22] انظر، العثيمين: **شرح العقيدة الواسطية**، ج 1 / ص 133.

بالتهليل، أنّ التهليل صريح في نفي الألوهية عن غير الله I، وإثباتها له، كما أنّ التسبيح صريح في نفي النقائص والعيوب عن الله I، ففي الاقتران بينهما توكيد لتوحيد الله I وتنزيهه، قال ابن حجر: "فمنطوق سبحان الله تنزيه، ومفهومُه توحيد، ومنطوق لا إله إلا الله توحيد، ومفهومُه تنزيه، يعني فيكون لا إله إلّا الله أفضل؛ لأنّ التوحيد أصل والتنزيه ينشأ عنه".([23])

ومِن الفوائد المستنبَطة مِن الآية الآنفة الذكر، أنّ مِن آداب الدعاء أن يصدِّر الداعي دعاءه بالتهليل والاستغفار والاعتراف بالذنْب؛ فإنه حريّ أن يستجاب له، ومِن هنا حظيت هذه الدعوة بالمكانة العظيمة، ودلّت السنّة على ذلك، فعن النبي ρ قال: "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ مِن الظالمين، فإنه لمْ يَدْعُ بها رجل مسلِم في شيء قط إلّا استجاب الله له".([24])

الثاني: قوله I موضّحاً أهمية التسبيح الذي ذُكر في الآية السابقة: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِين (148)}[الصافات: 139 – 148].

والأظهر أنّ التسبيح المقصود ها هنا هو تسبيح اللسان الموافق للجنان.([25])

ويُستفاد مِن هذه الآية أنّ التسبيح أحد أسباب النجاة مِن المخاطر، مثلما نجّى الله Y نبيّه يونساً υ وهو في أصعب الظروف عندما كان في بطن الحوت، فنَزّه ربَّه Y بكلمة (سُبْحَانَكَ)، فاستجاب له.

---

[23] ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (بيروت، دار المعرفة، 1379)، (11/ 207).

[24] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى (ت: 279هـ): **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1- 1395هـ - 1975م)، كتاب أبواب الدعوات عن رسول الله ρ، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، حديث رقم (3505)، (5/ 529)، قال الألباني: صحيح.

[25] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (15/ 127).

وورد التعبير القرآني بصيغة اسم الفاعل (الْمُسَبِّحِينَ)؛ وذلك للإيذان بأنّ يونس υ كان يكثِر مِن عبادة التسبيح في كلّ أوقاته، فقد كان υ مِن المسبِّحين في بطن الحوت بدلالة الآية، وكان مِن المسبِّحين قبل ذلك قطعاً؛ فإنه نبيّ كريم، والأنبياء عليهم السلام أتمُّ البشَر ذِكراً وتسبيحاً كما تقرّر.

رابعاً: تسبيح زكريا υ لربّه Y: يحكي القرآن الكريم عن تسبيح نبيّه زكريا υ لربّه Y، وذلك في موضعين في القرآن الكريم، وهما:

الأول: قوله I آمِراً زكريا υ بكثرة الذِّكر والشكر والتسبيح، كما قال I: {وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ}[آل عمران: 41].

ومعنى قوله I: {وَسَبِّحْ} قُل: سبحان الله، وقال قوم: معناه: صَلّ، والقول الأوّل أصوب؛ لأنه يناسِب الذكر، ويُستغرب مع امتناع الكلام مع الناس، و(العشِيّ) في اللغة: مِن زوال الشمس إلى مغيبها.([26])

والثاني: قوله I مخبِراً عن أمر زكريا υ قومَه بالذِّكر عموماً وبالتسبيح خصوصاً: {فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}[مريم: 11].

وقوله Y: "{أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} أي: موافَقةً له فيما أُمِرَ به في هذه الأيام الثلاثة؛ زيادةً على أعماله، وشُكراً لله على ما أولاه".([27])

خامساً: تسبيح موسى υ لربّه Y: يحكي القرآن الكريم عن تسبيح موسى υ لربّه Y، وذلك في ثلاثة مواضع، وهي:

الأول: تسبيح موسى υ عند نداء الله Y له، وذلك في قوله: {فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[النمل: 8].

قيل: إنّ موسى υ قال هذا التسبيح حين فرَغ مِن سماع النداء؛ استعانةً بالله Y وتنزيهاً له، وقيل: هو مِن قول الله Y، ومعناه: وبُورك فيمَن سَبّح اللهَ ربَّ العالمين.([28])

والثاني: تسبيح موسى υ عند لقاء ربّه I، وذلك في قوله: {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}[الأعراف: 143].

---

[26] انظر، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1422هـ)، (1/ 432).

[27] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (5/ 216).

[28] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (13/ 160).

قال أبو جعفر: "يقول تعالى ذِكره: فلمّا ثاب إلى موسى υ فهمُه مِن غشيته، وذلك هو الإفاقة مِن الصعقة التي خرّ لها ρ، {قَالَ سُبْحَانَكَ}: تنزيهاً لك، يا ربّ، وتبرئةً أن يراك أحدٌ في الدنيا، ثُمّ يعيش، {تُبْتُ إِلَيْكَ}: مِن مسألتي إيّاكَ ما سألتُكَ مِن الرؤية، {وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}، بكَ مِن قومي، أن لا يراك في الدنيا أحدٌ إلّا هَلك".([29])

والثالث: قوله I مخبراً عن دعاء موسى υ ربّه I بأن يجعل أخاه هارون υ وزيراً له؛ لِيعينه على التسبيح والذِّكر، {وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34)}[طه: 29 – 34].

وممّا يُلحظ مِن قول موسى υ: {كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34)}[طه: 33 – 34]، أنّ أرقى درجات التسبيح عند البشر هو تسبيح الرسل عليهم السلام، وأنّ مدار العبادات كلِّها على ذِكر الله I وتسبيحه، كما أنّ تنزيه الله I وتسبيحه عمّا يفتريه الظالمون في حقّ الخالق مِن مقاصد التوحيد والدعوة، حيث ذَكر موسى υ الفائدة مِن سؤاله ربَّه Y بأن يُشرك أخاه هارون υ معه في النبوّة، وهي أن يَكثُر منهما ذِكره، لذا أوصاهم الله Y بمداومة ذِكره قائلاً: {وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي}[طه: 42]،، وما ذلك إلّا لأنّ في ذِكر الله I عوناً على جميع الأمور.

وإذا كان هذا هو شأن الرسل عليهم السلام مع التسبيح، على الرغم مِن منزلتهم العظيمة عند الله Y، فينبغي على العبد أن يجتهد في الاقتداء بهم، فيُكثِر مِن تسبيح الله Y في ليله ونهاره؛ فإنّ في إخبار الله I عنهم في كتابه العزيز ترغيبٌ لغيرهم في الاقتداء بهم مِن باب أَولى.

سادساً: تسبيح محمد ρ لربّه Y: يحدّثنا القرآن الكريم عن نموذج آخَر، هو خير مَن لازم تسبيح الله Y، وهو النبيّ محمد ρ، ومِن شواهد تسبيحه لربّه Y كما ورد في الكتاب العزيز ما يأتي:

1- {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[يوسف: 108].

2- {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}[الأعلى: 1].

3- {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى}[طه: 130].

4- {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40)}[ق: 39 – 40].

---

[29] الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (13/ 102).

5- {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)}[الحجر: 97 - 98].

6- {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}[الواقعة: 74].

7- {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}[الواقعة: 96].

8- {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}[الحاقة: 52].

9- {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49)}[الطور: 48 - 49].

10- {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181)}[الصافات: 180 - 181].

11- {أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا}[الإسراء: 93].

12- {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}[غافر: 55].

13- {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26)}[الإنسان: 24 - 26].

14- {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (9)}[الفتح: 8 - 9].

15- {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}[النَّصر: 3].

16- {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ}[الفرقان: 58]

ونلحظ مِن الآيات الكريمة عدّة ملحوظات، وهو ما سيجده القارئ في المطلب التّالي.

الفرع الثاني: معاني التسبيح في القرآن الكريم:

المتدبّر في إطلاقات مصطلح التسبيح في القرآن الكريم، يجد ما يأتي:

أ- يكثر في الآيات الكريمة إطلاق التسبيح على الصلاة، سواء كانت صلاة الفريضة أو صلاة التطوّع، فجاءت بمعنى صلاة التطوع في قوله Y: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا}[الإنسان: 26]، وجاءت بمعنى صلاة الفريضة في قوله Y: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى}[طه: 130]، وممّا يدلّ على أنّ المقصود بالتسبيح ها هنا صلاة الفريضة حديث جرير بن عبد الله τ فقد قال: "كنّا عند النبي ρ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترَون ربّكم كما ترَون هذا لا تضامُّون في رؤيته، فإنِ استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا ثُمّ قرأ: {وسبِّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها}[ق: 39]".([30])

ومِن المعلوم أنّ الصلاة تتضمّن منتهى التسبيح قولاً وعملاً، كما هو الحال في التسبيح القولي في دعاء الاستفتاح والركوع والسجود، وعليه فلا غرابة في تسمية الصلاة تسبيحاً، ويعلِّل الزجّاج ذلك، فيقول:"وإنما سمِّيت الصلاة تسبيحًا؛ لأنّ التسبيح تعظيم الله وتبرئته مِن السوء، والصلاة يُوحَّد اللهُ فيها ويُحمَد ويُوصف بكلّ ما يبرّئه مِن السوء".([31])

ب- كرّر الله Y في كتابه العزيز أمْره لنبيّه وعبده محمد ρ بالتسبيح، بَعد إخباره عن ضيق صدره مِن إيذاء الكافرين، وأمْره له بالصبر كما في مواضع عديدة، منها قوله Y: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}[غافر: 55]، وقوله Y: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)}[الحجر: 97 – 99]؛ وفي هذا الترتيب إيماء إلى أنّ الصبر يُعين على تحمُّل الشدائد، كما قال Y: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ}[البقرة: 45]، ولذا ينبغي للمكروب أن يَفزع إلى الله Y بالتسبيح وغيره مِن ألوان القرُبات؛ كي يكشف الله Y عنه كُربته، قال الرازي: "إنما أمَر عَقِيب الصبر بالتسبيح؛ لأنّ ذِكر الله تعالى يفيد السلوى والراحة؛ إذ لا راحة للمؤمنين دون لقاء الله تبارك وتعالى".([32])

---

[30] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: 256): **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ρ وسننه وأيامه**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3– 1407هـ - 1987م)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب}[ق: 39]، حديث رقم (4851)، (6/ 139).

[31] الزّجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: 311هـ): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت، عالم الكتب، ط1 – 1408هـ - 1988م)، (1/ 409).

[32] الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: 606هـ): **مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3 - 1420هـ)، (22/ 113).

ج- إنّ الأوامر التي خوطب بها النبيّ محمد ρ بالتسبيح أصلاً في آيات كثيرة، موجَّهة ذاتها إلى كلّ المكلَّفين مِن أمّته تبَعاً كذلك ما لمْ يقُم دليل على الخصوصيّة، ومع ذلك تواتَر الأمر الإلهي للمؤمنين باستدامة تسبيح الله Y في القرآن الكريم في آيات عدّة، منها قوله Y: {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}[الأحزاب: 42].

د- التسبيح مِن المقامات التي لها صلةً بأسماء الله Y، فالمتتبِّع لآيات الذكر الحكيم التي تضمّنت تسبيح النبي محمد ρ؛ يجد أنّ التسبيح يقترن بأسماء الله I، ومِن شواهد ذلك تكرُّر الأمر للنبيّ محمد ρ بالتسبيح باسم (العظيم) ثلاث مرّات، كما في قوله تعالى Y: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}[الواقعة: 74]، [الواقعة: 96]، [الحاقة: 52]، وقوله Y: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}[الأعلى: 1]، كما قرَن الله I في مواضع أُخَر بين التسبيح وبعض أسمائه الحسنى، كما في قوله Y: {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[الزمر: 4]، وقوله I: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ}[الأنبياء: 26]، حيث قرن I في هذه الآيات بين التسبيح وبعض أسمائه I، كاسم لفظ الجلالة (الله) والقهّار والرّحمن والواحد.

هـ- التفرقة بين استعمال لفظ التسبيح متعلِّقاً بلفظ اسم الله، وبين عدم تعلُّقه به، ويفرّق صاحب (التحرير والتنوير) بين استعمال Y: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ} ونحوها، واستعمال {وسَبِّحه} ونحوها في الكتاب الكريم فيقول: عُدِّي فعل الأمر بالتسبيح هنا إلى اسم، فقد تعيَّن أنّ المأمور به قول دالّ على تنزيه الله بطريقة إجراء الأخبار الطيّبة أو التوصيف بالأوصاف المقدّسة؛ لإثباتها إلى ما يدلّ على ذاته Y مِن الأسماء والمعاني، فتسبيحُ اسم الله يعني: النطق بتنزيهه في نفْسه وبين الناس بذِكر يليق بجلاله مِن العقائد والأعمال كالسجود والحمد، ويشمل ذلك استحضار الناطق بألفاظ التسبيح معاني تلك الألفاظ؛ إذ المقصود مِن الكلام معناه، وبتظاهر النطق مع استحضار المعنى يتكرّر المعنى على ذهن المتكلِّم، ويتجدّد ما في نفْسه مِن تعظيم لله Y.

وأمّا تفكُّر العبد في عظمة الله Y، وترديدُ تنزيهه في ذهنه، فهو تسبيح لذات الله ومسمّى اسمه، ولا يسمّى تسبيح اسم الله؛ لأنّ ذلك لا يجري على لفظ مِن أسماء الله Y، فهذا تسبيح ذات الله، وليس تسبيحاً لاسمه.([33])

و- تنوُّع تصاريف التسبيح في الكتاب الكريم، حيث جاء فعل الماضي (سبَّح)، وفعل المضارع (يسبِّح)، وفعل الأمر (سبِّح)، وصيغة المصدر (سبحان)، وإنما عُبِّر بالماضي تارة وبالمضارع أخرى؛ ليبيِّن أنّ ذلك التسبيح لله Y هو

[33] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (30/ 274).

شأن أهل السماوات وأهل الأرض، ودأبهم في الماضي والمستقبل،([34]) ففيه إيماء إلى أنّه ينبغي الاستمرار في تنزيه الله Y في كل وقت، كما يُشعر استخدام الذِّكر الحكيم للتسبيح بصيغة فعل الأمر بالتركيز على أهمية التسبيح.

ز – قول: (سبحان الله وبحمده) مِن أفضل صيغ التسبيح المأمور بها في آيات عديدة مِن القرآن الكريم، كما في قوله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ}[الفرقان: 58]، كما جاء في عدد كبير مِن أحاديث السنّة النبوية الشريفة ما يخصّ فضل التسبيح بحمد الله، منها قول النبي ρ: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده".([35])

وتبيّن ممّا سبق في هذا المطلب، أنّ الرسل عليهم السلام هم أكمل البشر ذِكراً، وأتمّهم تسبيحاً، وقد شَمل تسبيحُهم القول والاعتقاد والعمل، كما شمل الأحوال جميعها.

كما خلُصتُ إلى أنّ في توجيه الله Y لأنبيائه عليهم السلام أن يسبِّحوه؛ دلالة على أنه Y يحبّ التسبيح والتمجيد وغيره مِن ألوان الذِّكر، ويحبّ مِن عباده أن لا يفتَروا عن تسبيحه Y، ففيه تنبيه للمؤمنين إلى الإكثار مِن تسبيح الله Y باللسان والجنان والأركان.

وظهر تتابُع ألفاظ تسبيح الله Y كثيراً في القرآن الكريم؛ ولعلّ الحكمة مِن ذلك؛ كي يرتاض لسان التّالي لكتابه الكريم على الذِّكر ، ولِيتعلّم الأدب مع الله Y، لذا فحريّ بالمؤمن أن يرطِّب لسانه بالتسبيح؛ لِينال الأجر العظيم مِن الله Y.

كما تبيَّن مِن خلال التأمُّل في آيات القرآن الكريم الآنفة الذِّكر، أنّ الله Y قد كرّر أمْره بالتسبيح لنبيّنا محمد ρ على الخصوص في مواضع كثيرة، فقام ρ بهذه العبادة خير قيام، فأكثَر مِن تسبيح الله Y في صلاة الفريضة والتهجد، كما أكثَر مِن تسبيحه Y جميع الأوقات وسائر الأحوال، وخَتم ρ عُمرَه المبارك بالتسبيح والحمد والاستغفار، كما رغّب أمّته بالإكثار مِن ذكْر الله Y وتسبيحه، وبيّن لهم فضائله كما تجلّى ذلك في أحاديث كثيرة، فإذا كان هذا هو شأن النبيّ محمد ρ مع التسبيح رغم علوّ قدْره، واصطفائه بالرسالة، وعصمته مِن الذنْب، فكيف يكون حال العِباد الخطّائين؟

---

[34] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: 1393هـ): **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م)، (541/7).

[35] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم (6406)، (8/ 86).

وفي ختام هذا المطلب أحسب أنّ القارئ طوَّف في جنبات التسبيح في حياة الرسل عليهم السلام، وتعرّف على سادات المسبِّحين مِن البشر، ووقف على مشاهدَ مِن ذِكرهم لله Y، واتضحتْ له إجابة السؤال الثاني: مَن هم الرسل عليهم السلام الذين قصّ القرآن الكريم تسبيحهم لله Y.

فإذا كان ذلك كذلك؛ فإني أزعم أنّ القارئ قد تشوّقت نفْسه؛ لمعرفة القيم التربوية المستنبَطة مِن تسبيح الرسل عليهم السلام، وهذا هو موضوع المطلب التالي.

المطلب الثالث:

فضل التسبيح والقيم التربوية المستنبَطة مِن تسبيح الرسل عليهم السلام في القرآن الكريم

سأبيّن في هذا المطلب فضل التسبيح في القرآن الكريم، ثُمّ سأعرِّج على استنباط أهمّ القيم التربوية مِن تسبيح الرسل عليهم السلام في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: فضل التسبيح:([36])

فإنّ التسبيح مِن أجلّ العبادات القولية، وله منزلة جليلة في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، وممّا يدلّ على فضله في التنزيل العزيز على وجه الخصوص ما يأتي:

*إنّ التسبيح عبادة عقديّة؛ لأنّ حقيقته تنزيه الله Y عن صفات النقص، وهذا مِن أصول الاعتقاد.

*إخبار الله I عن تسبيح الجمادات والكائنات له Y، حيث أخبر I عمّا أَنعم به على نبيّه داود υ مِن تأويب الطير وتسبيح الجبال معه، كما في قوله I: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ}[الأنبياء: 79].

*إنّ الله I جعَل التسبيح شِعاراً لرسُله وأنبيائه عليهم السلام، كما أَمَر به عباده عامّة ورسُله عليهم السلام خاصة في مواضع عديدة في كتابه العزيز، وفي استخدام القرآن الكريم للتسبيح بصيغة فعل الأمر خاصّة دلالة بيّنة على أهميّته.

---

[36] لمزيد بيان في هذا الموضوع، انظر، شواهنة، حمزة عبدالله سعادة: **تسبيح الرسول محمد ρ دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم**، (بحث محكّم، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، المملكة العربية السعودية)، مج (6)، ع (1)، (1442هـ)، ص 18- 19.

*اتصاف المولى I بصفة النزاهة مِن كلّ عيب، وقد اشتُقّ مِن صفة التسبيح اسم مِن أسمائه الحسنى، حيث سمّى I نفْسه ب(السُّبُّوح)، ومنِ الأسماء الحسنى التي ترجع إلى هذا المعنى اسمُه القدّوس والسلام والمتعالي؛ وفي ذلك إشارة كبيرة إلى فضل التسبيح ومكانته الجليلة.

*إنّ للتسبيح ثماراً عظيمة، منها أنّه يصِل بالذاكر المسبِّح إلى مرتبة الرضا، وانشراح الصدر، كما أنّه يُعِين على الصبر، ولذلك يأمر المولى I نبيّه محمداً ρ به بعد أمْره له بالصبر في خمسة مواضع مِن كتابه العزيز، ومِن ذلك قوله I: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}[طه: 130].

*كثرة ورود ألفاظ التسبيح في القرآن الكريم، حيث وردت مادّة (سَبّح) في سبعة وثمانين موضعاً بتصاريفها المتعدِّدة، وهذا دليل بيِّن على الأهمّية القصوى التي تَحظى بها هذه العبادة،([37]) وممّا ورد في شأنه استهلال سبع سُور مِن القرآن الكريم به، وهي السُّوَر التي سُمِّيت بالمسبِّحات، وهي: الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى، كما ذكر الله I التسبيح في مفتَتح سورة النحل، وذلك في قوله I: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[النحل: 1].

*جعل الله I مِن حِكم بعثة النبي محمد ρ تسبيح الله وتنزيهه، كما في قوله: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (9)}[الفتح: 8 – 9].

*إفراد التسبيح بالذّكر مِن بين الأذكار في بعض آيات القرآن الكريم، بالرغم مِن اندراجه في عموم الأذكار، ومن شواهد ذلك قولُه I على لسان موسى υ: {كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34)}[طه: 33 – 34]، وفي هذا دلالة بيّنة على أنه العُمدة.

الفرع الثاني: القيم التربوية المستنبطة مِن تسبيح الرسل عليهم السلام في القرآن الكريم

بعد الانتهاء مِن بيان المنزلة الجليلة للتسبيح في القرآن الكريم، فإنه يحسن بنا أن نعرّج على أهمّ الجوانب التربوية المستنبَطة مِن تسبيح الرسل عليهم السلام لربّهم Y في الذِّكر الحكيم، ومِن أهمّها ما يأتي:

1-التسبيح منهج الرسل عليهم السلام عموماً: حيث لازمت عبادة الذِّكر والتسبيح جميع المرسلين عليهم السلام، فكانوا أئمّة في كثرة ذِكرهم لله I وتسبيحهم لذاته العليّة بألسنتهم وقلوبهم وأفعالهم، وقد أكّد القرآن الكريم أنّ تسبيح الله

[37] انظر، عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: 1388هـ): **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (القاهرة، دار الحديث، 1422هـ – 2001م)، مادة (سَبَحَ)، (339 –340).

I كان شأن رسل الله عليهم السلام جميعاً، ومِن خلال استقراء آيات القرآن الكريم تبيّن أنّ الله Y قصّ نماذج عديدة مِن تسبيح رسُله عليهم السلام؛ وذلك كي يقتدي المسلم بالمرسلين عليهم السلام في دوام ذِكرهم لربّهم Y.

وقد أَمَر الله I أنبياءه الكرام عليهم السلام بهذه العبادة الجليلة، ومِن شواهد ذلك أَمْره I نبيَّه زكريا υ بالتسبيح بقوله: {وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ}[آل عمران: 41]، وفي الوقت نفْسه يطلب زكريا υ مِن قومه تسبيح الله I، كما حكى I: {فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}[مريم:11]، وأخبر الله I عن نبيِّه داود υ بقوله: {إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ}[ص: 18]، كما ذكرَ Y عن بعض رسُله عليهم السلام لهَجهم بالتسبيح، كما قال I على لسان المسيح عيسى υ: {سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ}[المائدة: 116]، وحكى I تسبيح الكليم موسى υ أيضاً بقوله: {سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ}[الأعراف:143]، كما قصّ تسبيح يونس υ بقوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ}[الأنبياء:87]، هذا وقد أمَر I به نبيّنا محمداً ρ في آيات كثيرة، منها قوله Y: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ}[الواقعة: 74].

2-اختصاص التسبيح بالله I وحده: فإنّ المتأمِّل في آيات القرآن الكريم يَلحظ أنّ التسبيح سواء جاء باللفظ أو بالاعتقاد حقٌّ خالص مِن حقوق الله I، لذا لا يجوز أن يُنعَت بها أحدٌ سواه أيّاً كان؛ وذلك لأنّ لله I وحده صفات الكمال المطلَق، كما أنّ لغيره أيّاً كان صفات النقص، مِن هنا لا يُذكَر لفظ التسبيح في آيات القرآن الكريم إلّا مضافاً إلى لفظ الجلالة أو اسم مِن أسماء الله الحسنى، أو صفة مِن صفاته أو ضمير عائد إليه Y، ومِن شواهد ذلك قوله I على لسان نبيّنا محمد ρ: {وسبحان الله وما أنا من المشركين}[يوسف: 108].([38])

3-اقتران التسبيح بألفاظ الذِّكر والثناء على الله Y: فإنّ المتتبّع لألفاظ التسبيح في القرآن الكريم، يجد أنّ الله Y قرَن في كتابه العزيز كثيراً بين التسبيح وألفاظ الذِّكر الأخرى، حيث قرَن بين التسبيح والذِّكر، كما في قوله I: {كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34)}[طه: 33 – 34]، وقرَن التسبيح بالحمد وهو الأغلب، كما في قوله I: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}[النصر: 3]، وقرَن بين التسبيح والاستغفار، كما في قوله I: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}[غافر: 55]، وقرَن بين التسبيح والدعاء، كما في قوله I: {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ}[يونس: 10]، وقرَن بين التسبيح والسلام على الرسل عليهم السلام، كما في قوله I: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181)}[الصافات: 180 – 181]، وقرَن التسبيح بالصبر، كما في

---

[38] انظر، شواهنة، حمزة عبدالله سعادة: مقال بعنوان: **تسبيح المؤمنين في ضوء القرآن الكريم**، مجلة البيان، ع (388)، 8/ 8 /2019م.

قوله I: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}[طه: 130]، وقرَن التسبيح بالتوكّل، كما في قوله I: {وتوكَّل على الحيّ الذي لا يموت وَسَبِّحْ بحمده}[الفرقان: 58]، وقرَن التسبيح بالإيمان، كما في قوله I: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}[الفتح: 9].

وممّا سبق إيراده لا يُفهم منه أنّ التّسبيح يَرِد دائماً مقترناً ببعض ألفاظ الذكر الأخرى، فقد يَرِد مُفرداً أحياناً، ومنه التسبيح الذي جاء به النبيّ عيسى υ في قوله: {سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ}[المائدة: 116].

4- أزمنة التسبيح: التسبيح عبادة تُشرَع في كلّ وقت، لكنّها تتأكّد في الأوقات الفاضلة، ومن الأزمنة التي جاء الأمرُ بالتسبيح فيها زمنُ النهار وأطراف النهار ووقت الصُّبْح، والمراد: صلاة الفجر، والغُدُوّ، والبُكرة، وقبل طلوع الشمس، وهذه الألفاظ تطلَق على زمن واحد وهو أوّل النهار مِن طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والإشراق وهو: وقت شروق الشمس، والعَشِيّ، ويطلق على الوقت مِن زوال الشمس إلى غروبها، فيَدخل فيه وقتا الظهر والعصر، ومِن ذلك صلاتَي الظهر والعصر، وقبل غروب الشمس، والأَصيل، ووقتُ الأَصِيل: بعد العصر إلى غروب الشمس، والمساء، والليل وآناء الليل، وهو: أوّل الليل مِن حين تغرب الشمس أو تدنو مِن الغروب إلى أن يُظلم الليل، وإدبار النجوم، ووقت إدبار النجوم: هو وقت السحر قبيل النهار، وحين القيام، ويقصد به: الصلاة، سواء كانت فرضًا أو نفلاً، وأدبار السجود، ويقصد به: بعد انتهاء الصلاة.

وفي مجيء الأمر بالتَّسبيح في القرآن الكريم في أزمنة مختلفة؛ إرشاد للعباد بإدامة التسبيح، فينطلق العبد يسبّح خالقه ويحمَده في أوقات الليل والنهار جميعها، كما أشار Y: {فَإِذَا فَرَغْتَ فانصب (7) وإلى رَبِّكَ فارغب (8)}[الشرح: 7 – 8].

ولعلّ الحكمة مِن مزيد تخصيص زمنَي الصباح والمساء بالتسبيح كثيراً؛ لتكرُّرهما، ولِشرفهما؛ كونهما آيتَين عظيمتَين مِن آيات الله Y، ولِسهولته فيهما، ولِيَعُمّ الأمر بالتسبيح جميع الأوقات، ولهذا شُرعت أذكار الصباح والمساء عند وقت الصباح ووقت الغروب، أمّا الحكمة مِن الأمر بالتسبيح بالليل؛ لأنه محلّ السكون والنوم، فهو أشقّ على النفوس، فالثواب فيه أعظم، كما أنّه أجمع للقلب، وعليه فلِلذِّكر في الليل مزيّة على غيره مِن الأوقات.

وفي ختام هذا المطلب أحسب أنّ القارئ طوَّف في جنبات تسبيح الرسل عليهم السلام لربّهم Y، واتضحتْ له إجابة السؤال الثالث: ما أهمّ القِيم التربوية المستنبطة مِن تسبيحهم عليهم السلام؟ وبهذا تكون جميع أسئلة الدراسة قد تكاملت إجاباتها، ولمْ يتبقّ إلّا إيضاح ما خرجت به الدراسة مِن نتائج وتوصيات تضمَّنتها خاتمة الدراسة، وهو ما سيجده القارئ الكريم في الإيراد التالي.

الخاتمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فإنه بعد الجولة العطرة بين ثنايا موضوع **(تسبيح الرسل عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم)**، مِن خلال استقراءٍ لعدد غفيرٍ من الآيات القرآنية، يمكِن استنباط النتائج الآتية:

* أجمع تعريف للتسبيح في الشرع، أنه: تنزيه الله Y اعتقاداً وقولاً وعملاً عمّا لا يليق بجنابه.

* نظائر التسبيح في القرآن الكريم هي: الحمد، والسلام، والتقديس، والتأويب، وتعالى، وحاش لله.

* للتسبيح منزلة جليلة، وممّا يدلّ على فضله، أنّه عبادة اعتقادية؛ لأنّ حقيقته تنزيه الله Y عن صفات النقص، وأنّ الله I جعَله شِعاراً لرسُله وأنبيائه عليهم السلام، وأنّ الله I أَمَر به عباده عامّة ورسُله عليهم السلام خاصّة أمراً صريحاً في كتابه الكريم، كما سمَّى اللَّه Y ذاته العليّة ب(السُّبُّوح)، إضافة إلى كثرة ورود ألفاظه في القرآن الكريم، حيث وردت مادة (سَبّح) في سبعة وثمانين موضعاً بتصاريفها المتعدِّدة، ناهيك عن اقترانه بألفاظ الذِّكر والثناء على الله Y، كالحمد والذِّكر والإيمان والدعاء والاستغفار والصبر والتوكل، واقترانه أيضاً ببعض أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، فضلاً عن بيان القرآن الكريم لبعض ثمراته، ومنها أنّ الله I جعَله زاداً للصابرين، كما جعَله أحد أسباب النجاة مِن المخاطر، كما يستفاد مِن قصة نجاة النبي يونس υ.

* التسبيح عبادة تُشرَع في كلّ وقت، لكنّها تتأكد في الأوقات الفاضلة، وفي مجيء الأمر بالتَّسبيح في القرآن الكريم في أزمنة مختلفة؛ إرشاد للعباد بإدامة التسبيح في جميع الأوقات، وإيذاناً باختصاص بعض أزمنة التسبيح بمزيد مزيّة على غيرها.

* اختصاص التسبيح بالله I وحده؛ فإنّ المتأمِّل في آيات القرآن الكريم يَلحظ أنّ التسبيح سواء جاء باللفظ أو بالاعتقاد حقٌّ خالص مِن حقوق الله I، لذا لا يجوز أن يُنعَت بها أحدٌ سواه أيّاً كان؛ وذلك لأنّ لله I وحده صفات الكمال المطلَق.

* المتدبّر في إطلاقات مصطلح التسبيح في القرآن الكريم، يجد أنه يكثر في الآيات الكريمة إطلاق التسبيح على الصلاة، وأنّ التسبيح مِن المقامات التي لها صلةً بأسماء الله Y، وتنوُّع تصاريف التسبيح في الكتاب الكريم، وأنّ قول: (سبحان الله وبحمده) مِن أفضل صيغ التسبيح المأمور بها في آيات عديدة مِن القرآن الكريم.

* تنوُّع أساليب القرآن الكريم في عرْض تسبيح الرسل عليهم السلام لربهم I، فتارةً يأمرهم به، وتارة يوجِّههم إلى أن يأمروا به أقوامهم، وتارة يذكُر تسبيح رسُله عليهم السلام لذاته العليّة، وأخرى يبيّن فضائله وثمراته.

* التسبيح منهج الرسل عليهم السلام عموماً، حيث لازمت عبادة التسبيح جميع المرسلين عليهم السلام، فكانوا أئمّة في كثرة تسبيحهم للذات العليّة بألسنتهم وقلوبهم وأفعالهم، وقد قصّ الله Y في القرآن الكريم مشاهد عديدة مِن تسبيح رسُله عليهم السلام، ومنهم نبيُّه زكريا وداود والمسيح عيسى والكليم موسى ونبيّنا محمد عليهم الصلاة والسلام.

* الحكمة مِن تتابُع ألفاظ تسبيح الله Y في القرآن الكريم؛ كي يرتاض لسان التّالي على الذِّكر، ولِيتعلّم الأدب مع الله Y، فحريّ بالمؤمن أن يرطِّب لسانه بالتسبيح؛ لِينال الأجر العظيم مِن الله Y.

وفي ضوء هذه النتائج، فإنّي يوصي بما يأتي:

1-العودة إلى المفهوم الأصيل للذِّكر عموماً وللتسبيح خصوصاً؛ مِن خلال الجمع بين قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح.

2-توجيه البحوث العلمية إلى البحث في العبادات القلبية في القرآن الكريم، ودراسة أثرها في تنمية الشخصية.

وبعد؛ فهذا ما يسّر الله Y للباحث الوصول إليه في هذا البحث المختصر، وأسأله I أن يجعلنا ممّن يسبِّحه كثيراً ويذكُره كثيراً، وصلوات الله وسلامُه على أشرف خلْقه وتاج رسُله محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 370): **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 2001م).
- الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي: **الرسل والرسالات**، (دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط6، 1410هـ /1989م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: 256): **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ρ وسننه وأيامه**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3– 1407هـ – 1987م).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت: 728هـ)، **النبوات**، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (المملكة العربية السعودية: الرياض، أضواء السلف، ط1، – 1420هـ/2000م).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): **جامع المسائل**، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (مكة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – 1422هـ/ط1).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المملكة العربية السعودية: المدينة النبوية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف– 1416هـ/1995م).
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى (ت: 279هـ): **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1– 1395هـ – 1975م).
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (بيروت، دار المعرفة، 1379).
- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: 606هـ): **مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3 – 1420هـ).
- الزّجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: 311هـ): **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت، عالم الكتب، ط1 – 1408هـ – 1988م).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: 538): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**، تخريج: الإمام الزيلعي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: 982هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: 1393هـ): **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ – 1995م).

- شواهنة، حمزة عبدالله سعادة: **تسبيح الرسول محمد ρ دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم**، (بحث محكّم، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، المملكة العربية السعودية)، مج (6)، ع (1)، (1442هـ).
- شواهنة، حمزة عبدالله سعادة: مقال بعنوان: **تسبيح المؤمنين في ضوء القرآن الكريم**، مجلة البيان، العدد 388، 8/ 8 /2019م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخريج: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1 – 1420هـ – 2000م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: 1393هـ): **التحرير والتنوير**، (تونس، الدار التونسية للنشر، 1984هـ).
- عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: 1388هـ): **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المعجم الشريف**، (القاهرة، دار الحديث).
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1422هـ).
- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421 هـ): **شرح العقيدة الواسطية**، تخريج: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط6، 1421 هـ.
- القاضي عبد الجبار، أحمد بن خليل بن عبد الله الهمذاني (ت: 415هـ): **شرح الأصول الخمسة**، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1965م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2 – 1384هـ – 1964م).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1416هـ – 1996م).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): **الفوائد**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1393هـ – 1973م).

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 – 1420هـ – 1999م).
- د. كندو، محمد بن إسحاق، **التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه**، (دار المنهاج، الرياض، 1426، ط1).
- النَّسَفِيّ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: 710هـ): **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت، دار الكلم الطيب، ط1 – 1419هـ – 1998م).